ISSN: 1543-2335 مجلة الفكر المتوسطي للبحوث والدراسات في حوار الديانات والحضارات
E-ISSN: 2012-3299

مجلد: 07 عدد: 02 سبتمبر 2018
العنوان: ملامح التجديد العقدي عند مالك بن نبي ص259 . ص269

ملامح التجديد العقدي
عند مالك بن نبي

الطالب: سعيدي زكرياء
جامعة تلمسان
zakaria.saidi130@gmail.com

تاريخ الارسال : 2018-04-25 / تاريخ القبول: 2018-04-26 / تاريخ النشر 2018-09-15

Abstract

Malik bin Nabi is considered one of the pioneers of Arab and Islamic thought who contributed to their research and their works to reconsider and evaluate the Renaissance projects that were aimed at renewing the faith. He is following and criticizing trying to find a new way to combine the advantages and advantages of past experiences with investment and activism. And to avoid as far as possible about the whims and failures of those projects to avoid them in the future .. And I am exaggerating if I claimed that he was able to insightful to outperform many of the projects, and the reason in my view that the premise has either in criticism or establishment was scientifically systematic excellence, He did not just criticize without dissection or analysis For reasons, but made an unrivaled effort in diagnosis and disassembly as a source of problems from all faces and on more than one level.

ملخص:

يعتبر مالك بن نبي من رواد الفكر العربي و الإسلامي الذين أسهموا ببحوثهم و مؤلفاتهم إلى إعادة النظر و التقويم للمشاريع النهضوية التي كانت تروم التجديد في العقيدة ، و هو إذ يتعقب و ينتقد يحاول تلمس طريق جديد يجمع فيه بين حسنات و إيجابيات التجارب السابقة استثمارا و تفعيلا و الإبتعاد قدر الإمكان عن هنّات و سقطات تلك المشاريع تفاديا لها في المستقبل..ولا أكون مبالغا إن ادعيت أنه استطاع بفكره الثاقب أن يتفوق على كثير من المشاريع ، و السبب في نظري أن المنطلق لديه سواء في النقد أو التأسيس كان علميا منهجيا بامتياز ، فهو لم يكتف مثلها بالنقد دون تشريح أو تحليل للأسباب بل بذل جهدا منقطع النظير في التشخيص و التفكيك مقلبا للمشاكل من كل الوجوه و على أكثر من صعيد

الكلمات المفتاحية:مالك بن نبي، العقيدة ، التجديد ،النقد ، الإصلاح، التأسيس

مقدمة:

يعتبر التجديد في العقيدة من المطالب الأساسية التي عنى بها فكر النهضة و حركة الإصلاح الإسلامي الحديث؛ ابتداء بحركة التجديد في الحجاز و اليمن على يد محمد ابن عبد الوهاب و الشوكاني و الصنعاني وحركة المجددين بالهند على يد إقبال و وحيد الدين خان مرورا بزعماء الإصلاح بمصر على يد الأفغاني و عبده و رشيد رضا و البنا إلى الجزائر على يد جمعية العلماء المسلمين و في مقدمتهم عبد

الحميد بن باديس و الإبراهيمي و الميلي و العقبي و غيرهم...وقد رصد مالك بن نبي هذه الديناميكية و الفاعلية و التطور الذي تدعم به الفكر الإسلامي الحديث و المعاصر و تعقبه تثمينا و تأكيدا تارة و نقدا و تقويما تارة أخرى...وهو إذ ينتقد و يتعقب يحاول أن يتلمس طريقا جديدا يجمع فيه بين حسنات التجارب السابقة استثمارا و تفعيلا و تجنب العثرات و الإخفاقات التي منوا بها تفاديا لها في المستقبل ، و لا أكون مبالغا إن قلت إن مالك ابن نبي استطاع بفكره الثاقب و عقله الراسخ ان يتفوق على كثير من المشاريع التي عنيت بالإصلاح و التجديد فهو لم يكتف مثلها بالنقد دون تشريح أو تحليل للأسباب بل بذل جهدا منقطع النظير في التشخيص و التفكيك مقلبا للمشاكل من كل الوجوه محللا لها على أكثر من صعيد للوقوف على الاسباب الخفية و الباطنة التي مازالت تكرر نفس الإخفاقات و الهزائم السائدة في زمانه ، كما أنه لم يكتف في عملية البناء و التأسيس بلغة الوعظ و التهييج التي تذكر بالمحاسن و تمجد الماضي بل سعى سعيا حثيثا إلى إرساء قواعد منهج ووضع أليات و طرائق و ابتكار أدوات و مفاهيم يؤدي تفعيلها و تمثلها إلى بث نفس جديد في المعتقد الإسلامي و نفض غبار طال أمده و إزالة حواجز نصبها العقل الإسلامي على نفسه.. فجاءت طريقته متكاملة مستوفية للشروط محققة للغرض مجيبة عن كثير من الأسئلة و الإشكالات المحيرة ..استطاع بعبقريته و طريقته الفذة أن يصوغها بعبارات حديثة و قالب معاصر و اسلوب سهل لين دون أن تكون مبتورة عن الجذور او مقطوعة الصلة عما هو أصيل

فما هي ملامح التجديد في العقيدة عند مالك بن نبي؟ وما هي شروطه و أدواته ؟ وما هي غاياته و مقاصده؟

المبحث الأول : معنى التجديد عند مالك بن نبي

في اللغة جاءت مادة جدَد على معان يدور مضمونها على "القطع" و "الحظ" و "العظمة" ؛ والمعنى الأول هو المراد في الغرض الذي نحن فيه ، فالعرب تطلق لفظ جدَ على الشيء المقطوع فقولهم ثوب جديد و كأن ناسجه قطعه الأن ثم سمي كل شيء لم تأت عليه الأيام جديدا و لذلك سمي الليل و النهار جديدين و الأجدَين لأن كل واحد منهما يعقب الأخر وإذا جاء فهو جديد [(1)] وقد يطلق لفظ جدَ على غير ما يقبل القطع كقولهم : جدَد الوضوء و العهد و كساء مجدد و قولهم كبر فلان ثم أصاب فرحة و سرورا فجد جده كأنه صار جديدا[(2)]

ولا شك أن المعنى الإصطلاحي مأخوذ من هذا المعنى أي تصيير الدين جديدا كأن لم تبله الأيام ، وقد أضيفت التاء المصدرية له للتوكيد على وزن تفعيل.

أما في الإصطلاح فقد عرف التجديد في الدين على أنه: " العودة بالدين إلى ماكان عليه يوم إنشائه و ظهوره لأول مرة..و ذلك بأن نحافظ على جوهره و معالمه و خصائصه و مقوماته و نعود به إلى ماكان عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم و خلفائه الراشدين" (3)

فالتجديد في الدين و منه في العقيدة بهذا التعريف الذي قدمناه لا يعني أبدا الإنطلاق من فراغ او الإنشاء من عدم إنما هو الإحياء لما اندرس من أمر العقيدة و بعث ما نسي منها و إعادة تمثلها و تفعيلها في الحياة كما كانت في عهدها الأول

هذه هي المعاني التي ظل يدندن حولها مالك بن نبي ويحاول تبليغها للمتلقي؛ فهو و إن لم يضع حدا لمعنى التجديد إلا أنه استوعبه في طيات كتبه و اشتغل به و عليه في ثنايا أفكاره ، فلما يقول مثلا:" فكل محاولة لإعادة بناء حضارة الإسلام يجب أن تقوم أولا و قبل كل شيء على أساس سيادة الفقه الخالص على الواقع السائد الذي نشأ عن صفين و لا شك ان هذا يقتضي رجوعا إلى الإسلام الخالص أعني تنقية النصوص القرآنية من غواشيها الكلامية و الفقهية و الفلسفية "(4) لما يقول ذلك معناه انه يعتبر التجديد الحق هو الذي يرجع بالأصول العقدية و الدينية إلى أيام كانت دافعا للعمل و مؤطرا للعقل و موجها للسلوك...أي إعادتها إلى صفائها و نقائها إلى مصدرها و منبعها؛ وهو لما يثني على ابن تيمية مثلا فهو يثني عليه لأنه " خط طريقه نحو الضمير المسلم كما يخط الماء مجراه في باطن الأرض ثم ينبجس هنا و هناك من حين لأخر..فابن تيمية لم يكن عالما كسائر الشيوخ بل كان مجاهدا يدعو إلى التجديد الروحي و الإجتماعي في العالم الإسلامي ..."(5) يثني عليه لأنه في نظره استطاع ان يجدد الصلة بالدين بالعود إلى معينه الذي لا ينضب و هي التي أدت –كما يضيف- فيما بعد إلى ظهور دول تنهل من منهجه و طريقته و تحيي مبادئه وتتمم مشروعه

إذن التجديد في العقيدة عند مالك بن نبي هو محاولة الرجوع إلى مصادر الإسلام الأولى إحياء و تصورا و محاولة تمثلها و تفعيلها في الحيا المبحث الثاني:أليات التجديد العقدي عند مالك بن نبي

المبحث الثاني : أليات التجديد عند ابن نبي

إن المتأمل في مشروع الإحياء العقدي عند مالك بن نبي يجده يتسم بسمتين أساسيتين هما :

1.النقد لأجل التقويم و التصحيح و التوجيه

2.البناء من أجل تأسيس لفهم عقدي سليم و صحيح

المطلب الأول: نقد و تقويم الأفكار و المشاريع السابقة

بذل مالك بن نبي جهدا عقليا و نفسا فكريا منقطع النظير في تحليل الأسباب التي حالت دون أن تبلغ مشاريع الإصلاح العقدي مبتغاها و غايتها، فبالرغم من إقراره بفضلها و إيجابيتها إلا أنها لا زالت في نظره ناقصة يعوزها كثير من النضج و الفاعلية[6] ومرد هذه الإخفاقات في نظره أمور خمسة هي : الإشتغال الزائد بعلم الكلام ، عقدة التسامي ، التقاليد البالية ، عدم الإقرار بقانون الحركة و التقدم ، ، الجبرية و الإستسلام

1 . **الإشتغال الزائد بعلم الكلام:**

نعى مالك بن نبي على حركة الإصلاح الحديث ممثلة في الأفغاني و محمد عبده الإشتغال الزائد بعلم الكلام و استدرك عليها مبالغتها في ذلك ، وبين أن الطريقة هاته التي درج عليها زعماء الإصلاح في مصر لا تزيد المشكلة إلا عمقا ؛ لأنهم بذلك وقعوا في مناقضة لا شعورية فمن جهة يرفعون شعار السلفية و من جهة أخرى يتبنون مقولات علم الكلام و طرائقه في الإستدلال و البحث و النظر..؛ و أفة هذا الإشتغال – يضيف- أن الكلام لا يدعو إلى العمل و الإجتهاد بقدر ما يمجد الجدال و تبادل الأراء ؛ كما أنه يشوه يشوه المشكلة الإسلامية و يفسد طبيعتها ، بل يحول المشكلة التي تعاني منها النهضة من مشكلة " نفسية" إلى مشكلة "كلامية" [7]

فعلم الكلام بحسب ابن نبي لا يتصل بالنفس إلا في باب التجريد و المبدأ أما أن يكون دافعا للعمل و التغيير فذلك أمر مستبعد ، و المسلم لم يتخل أبدا عن عقيدته حتى نشغله بعلم الكلام فلقد ظل مؤمنا متدينا حتى في أشد العصور انحطاطا ، لكن الذي حصل له أن عقيدته تجردت من فاعليتها و فقدت إشعاعها و صار الإيمان إيمان فرد متحلل من صلاته الإجتماعية...و عليه فليس المشكلة أن نعلم المسلم عقيدة هو يملكها و إنما المهم أن نرد إلى هذه العقيدة فاعليتها و تأثيرها الإجتماعي و في كلمة واحدة "ليس المشكلة أن نبرهن للمسلم على و جود الله بقدر ماهي في أن نشعره بوجوده نملأ به نفسه باعتباره مصدرا للطاقة" [8]

و تغيير النفس معناه إقدارها على أن تتجاوز وضعها المألوف وليس هذا من شأن علم الكلام بل هو شأن علم لم يوضع له اسم بعد و يمكن أن نسميه " تجديد الصلة بالله"[9]

و كخلاصة فإن علم الكلام بحسب ابن نبي لا يواجه مشكلة الوظيفة الإجتماعية للدين بل يشوهها و يفسدها و المؤمن لا يفيد من مدرسة تعلمه مسألة وجود الله دون أن ة تلقنه مبادئ الرجوع للسلف [10]

مجلد: 07 عدد: 02 سبتمبر 2018
العنوان: ملامح التجديد العقدي عند مالك بن نبي
ص259 . ص269

2 . **عقدة التسامي:**

من أهم أسباب انحراف حركة الإصلاح الإسلامي في نظر ابن نبي هي عقدة التسامي وهي نزعة تهدف إلى المديح الزائد و تمجيد الذات حتى تتورم و تنتفخ و صورتها تتم من خلال مقاومة كل فكرة غربية بمحاولة نسبتها إلى الذات وتبيين السبق إليها عند العلماء القدامى في الثقافة الإسلامية [11]

وقد وجدت هذه الصورة في الثقافة الأوروبية القديمة على يد "توماس الإكويني " فاتخذت صورة تنحية كل ما من شأنه أن يدل على وجود تأثير إسلامي ، و الظاهرة نفسها تحدث في الثقافة الإسلامية التقليدية [12] هذه النرجسية الثقافية المعبر عنها بعقدة التسامي هي السمة البارزة في حركة الإصلاح الحديثة ومؤداها غمط حقوق الأخرو التعالي عليه ثقافيا و لأجل ذلك اتخذت صورة الإصلاح شكل الدفاع المبالغ فيه و المقاومة لكل ما هو دخيل ولو كان إيجابيا و صحيح

3.**التقاليد البالية:**

هناك بعض السمات المنحدرة من ثقافة إنسان ما بعد الموحدين كما يسميه ابن نبي طبعت بعض صفات الدروشة و الخزعبلات بطابع الطقوس الدينية مما أدى إلى شيوع حالة من الدجل و الخرافة وقد تستر بعض المتصوفة بها تحت ستار الإسلام الجليل [13] وقد قاومها ابن باديس في الجزائر فاستطاع أن يخلص البلاد من تلك التقاليد الزائفة التي كانت تتجسد في الطريقة المرابطية و لكن – كما يضيف– فردا واحدا يعجز عن القيام بتلك المهمة [14] مما يستدعي تظافر الجهود ولا بد لإزالة ثقل التقاليد من فكر ثوري يميز خبيث التقاليد من طيبها [15]

4. **عدم الإقرار بقانون التقدم و الحركة**

مما استغرب منه ابن نبي تلك المعارضة الشديدة التي حمل عاتقها الأزهر في مقاومة بعض النواميس الكونية القائمة على التطور و التقدم ورأى – أي الأزهر– أن فيها تقويضا لمشروعه الديني و هدما لأركان طرائق تعليمه، فرفض أي محاولة لإصلاح البرامج التعليمية و أي مبادرة لمراجعة المضامين..ولولا – يعقب ابن نبي – جمال الدين الأفغاني و محمد عبده لظل الأزهر كما هو ..متناسيا أن قبابه العظيمة التي ظل يتغنى بها طيلة قرون لا تظل كمالا دائما..و أنه قد أشعب بالنباتات الطفيلية في المجال الفكري إن لم يكن حتى في المجال الروحي [16] و يعتبر ابن نبي أن عدم الإقرار بقانون التقدم و الحركة هو بمثابة " الديون" التي تخلفت عن عصر ما بعد الموحدين و لقد ولدت في مأذن القيروان و الأزهر و الزيتونة و إذا لم يقض عليها بجهد منظم فإن جرثومتها الوراثية تلغم البنية الإسلامية من الداخل تخدع حوافزها الداخلية [17] فلا

بد –بحسبه– البدأ في معالجة الافكار الميتة التي لم يعد لها جذور في بوتقة الثقافة الاصلية للعالم الإسلامي لأننا إذا لم نفعل ذلك ستتحول من أفكار ميتة إلى أفكار مميتة [18]

5. الجبرية و الإستسلام:

مما يطبع إنسان ما بعد الموحدين نزوعه نحو الكسل و الدعة و الزهد في العمل و الإنتاج تحت مبرر القدر و القضاء و هذا لا شك بحسب بن نبي فهم ساقط و معنى خاطئ لعقيدة أساسية و راسخة في الدين ف " حين يصبح الإيمان إيمانا جذبيا دون إشعاع أعني نزعة فردية فإن رسالته التاريخية تنتهي على الأرض إذ يصبح عاجزا عن دفع الحضارة و تحريكها ، إنه يصبح إيمان رهبان يقطعون صلاتهم بالحياة و يتخلون عن و اجباتهم و مسؤولياتهم كأولائك الذين لجاوا إلى صوامع المرابطين منذ عهد ابن خلدون" [19]

فالإيمان بهذا الشكل يفسد ولا يصلح يهدم و لا يبني بل يخلق لنا نماذج فاشلة تعلق خيباتها بمشجب الدين ثم إن التاريخ لا يقبل هذه النماذج بل يشجبها و يعمل على إلغائها و لا يقبل إلا الإنسان المتكامل الذي يطابق بين جهده و بين مثله الأعلى و حاجاته الأساسية و الذي يؤدي في المجتمع رسالته المزدوجة بوصفه ممثلا و شاهدا [20]

هذه الحالة التي يصفها ابن نبي هي التي ولدت في جيله ما أسماه " القابلية للاستعمار" و هي حالة تعبر عن نتيجة و ليس عن سبب كما يشاع، بل لو لم تتوفر العوامل الكافية لما أمكن للإستعمار أن يفرض وجوده، وهي حالة تتكرر و تتمظهر بعدة هيئات و مختلف التجسدات فما دام لنا استعداد لخدمته و مادام له سلطة خفية على توجيه الطاقة الإجتماعية عندنا و تبديدها و تشتيتها على أيدينا فلا رجاء في استقلال و لا أمل في حرية مهما كانت الأوضاع السياسية [21]

إن حالة الوهن و الضعف الذي نعيشه في تقدير ابن نبي هي أمر حتمي لشروط نفسية و اجتماعية متراكمة نحن من صنعها و أوجدها و لا حل للتخلص منها إلا بالعودة للدفعة الروحية التي خلقها القرءان في نفوس اتباعه

المطلب الثاني : التأسيس و البناء العقدي عند مالك بن نبي

ابن نبي لم يكن من هؤلاء المفكرين الذين غلب عليهم جانب النقد دون تقديم بديل؛ فهو لا يهدم إلا بقدر ما يبني و لا يصف عوامل الضعف و الهوان إلا ليقدم بدلها طرائق النهوض و البعث ، و يعتبر هذا المنهج – كما يقول –هو سبيل القرءان ل " أن الحضارة الإسلامية قد جاءت بهذين التحديدين مرة واحدة و صدرت فيهما عن القرءان الكريم الذي نفى الافكار الجاهلية البالية ثم رسم طريق الفكرة

الإسلامية الصافية التي تخطط للمستقبل بطريقة إيجابية و هذا العمل نفسه ضروري اليوم للنهضة الإسلامية" [22]

و يمكن رصد هذا المنهج الذي نصفه عند ابن نبي حين انتقد الحركة الإصلاحية الحديثة و ذكر مثالبها و بعض إخفاقاتها عقب على كلامه ذاك بقوله :" إن تلخيصنا هذا النقد يوشك الا يطلعنا إلا على نقائص حركة الإصلاح و ربما فقدت بذلك في نظرنا قيمتها الإجتماعية و إن لم تفقد قيمتها التاريخية و مع ذلك فإن جزءا كبيرا مما حققه العالم الإسلامي راجع إلى مجهود الشيخ محمد عبده و مدرسته..." [23]

فالنقد في نظر ابن نبي غير مقصود لذاته– و إن كان مهما كمرحلة أولى للوقوف على المرض المتأصل– إنما غايته هو البناء و التأسيس و تقديم البديل الذي يؤدي إلى التجديد العقدي و الإنطلاقالحضاري..ومن أساسيات البناء العقدي الصحيح عند ابن نبي : العودة إلى عقيدة القرءان ، تغيير النفوس ، الفاعلية الإجتماعية، وصل العقيدة بالحياة، التأصيل الإسلامي للمفاهيم.

1 . **العودة إلى عقيدة القرءان** :

المنطلق في التأصيل العقدي عند ابن نبي هو وجوب العودة إلى الوحي فهما و تمثلا و فاعلية و استهداء، فهو الاقدر في نظر ابن نبي أن يعيد للعقيدة حيويتها و قيمتها الحقيقية ، و ما تشقيقات الكلام و جدالات المتكلمين إلا نوع تشويه للعقيدة الحقة ؛ فالمؤمن لم يتخل أبدا عن عقيدته حتى نعلمه عقيدة هو يملكها و ليس المهم أن نعلمه كيف يستدل على وجود الله بقدر ما يجب ان نشعره بوجوده [24] و لا سبيل أقدر على ذلك من القرءان ؛ بل إن العودة إلى القرءان و استلهام المعتقد منه تجعل الإيمان يكسب خاصيتين اثنتين هما

أ . القدرة على تغيير النفوس و إعادة شحنها و إقدارها على تجاوز وضعها المألوف و جعلها في حالة إيمانية راقية تكون دائمة الصلة بالله متوفرة على الدافع الداخلي الذي يؤدي إلى انتفاضة القلب كي تنتصر على ما أصابها من خمود [25]

ب . التأثير الإجتماعي : لا شيء أقدر في نظر ابن نبي من تحول الطاقات المعطلة داخل المجتمع إلى طاقة حيوية توجه و تحسن من اداء المجتمع من الفكرة الدينية فهو يقول بأصرح عبارة " و هكذا يظهر لنا من وجهة نظر علم النفس ان العنصر الديني يتدخل في تكوين الطاقة الأساسية لدى الفرد و في تنظيم الطاقة الحيوية الواقعة في تصرف أنا الفرد ثم في توجيه هذه الطاقة تبعا لمقتضيات النشاط الخاص بهذه الأنا داخل المجتمع .." [26] فالمجتمع أساسه و منطلقه هو الأفكار الدينية ولا بد من تعزيزها و تدعيمها حتى تصبح ذات تأثير اجتماعي ولا شك ان عقيدة القرءان هي الاقدر فهي تؤكد ذلك و تدعمه ؛ هذه

العقيدة القرءانية التي يدعو إليها ابن نبي هي العقيدة التي درج عليها موسى وعيسى و محمد صلى الله عليه و سلم فهؤلاء لم يكونوا علماء كلام بل كانوا ينطقون افكارا مجردة لكنهم كانوا مجمعين لتلك الطاقة الاخلاقية التي اوصلوها إلى نفوس فطرية (27)

2. **التأطير العقدي للعقل**:

لا نكون مبالغين إن قلنا إن ابن نبي كان مهووسا بفكرة إعادة التأصيل للمفاهيم؛ إدراكا منه لخطورتها و دورها في التوجيه العام للسلوك.. ولأجل ذلك كتب كتابه المهم " مشكلة الافكار في العالم الإسلامي" إشعارا منه بوجوب العودة إلى افكارنا و مفاهيمنا و تصوراتنا تصحيحا و تاسيسا و إعادة بناء ، و في هذا الكتاب بين ان الافكارالصحيحة الأصلية قد تتحول إلى "ميتة" و ذلك عندما يخذل اصحابها بها الأصول و ينحرفون بها عن مثلها العليا و قد تتحول إلى افكار "مميتة" عندما تفقد هويتها و قيمتها الثقافية بعد أن يجتثها أصحابها من جذورها و كيف أنها تنتقم فيما بعد بعدَخذلانها و خيانتها وهذا كله مصداقا لقوله تعالى " إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " (28)

و في جانب أخر اهتم ابن نبي بتبيئة بعض الأفكار الوافدة و التوطين لها حتى تتناسب و الخصوصية الثقافية و الدينية للمسلمين ؛ ومن تلك الأفكار فكرة المجتمع و الثقافة و السياسة و الأخلاق...هذه المفاهيم و إن كان مبناها موجودا و متداولا داخل العالم الإسلامي إلا أن مضامينها و معانيها قد تعرضت لكثير من التشويه بفعل التأثر بالوافد الغربي ؛ مما جعلها تحمل في باطنها كثيرا من التناقضات التي أدت لنشوء الصراع في البلاد المستعمرة ، فلا بد إذن من تخليص تلك المفاهيم من الأفكار الزائفة كالتأثير الماركسي أو الوضعي أو المادي الذي كان منتشرا في زمانه.

وقد يشكل أن ابن نبي استعمل بعض العبارات و أطلق بعض الإطلاقات يوحي ظاهرها أنه متأثر بنزعات غريبة فسر بها بها قضايا الدين " كالظاهرة القرأنية" مثلا..غير أنه عند التأمل لا يجد أن ابن نبي قصد بذلك الإطلاق ما يقصده أصحاب النزعة الظاهراتية من اعتقاد أن الوحي هو من جنس الظواهر الكونية و لا علاقة ألبتة بجهة مفارقة غيبية...بل مقصوده كما اوضحه " إن مبدأ النبوة يعرض نفسه بفضل شاهده الوحيد – النبي – بوصفه ظاهرة موضوعية مستقلة عن الذات الإنسانية التي تعبر عنه " (29) و كونها تكررت عبر التاريخ – أي النبوة – يجعل من المعقول التعبير عنها بطريقة علمية على أنها " ظاهرة" (30) مع تفريقه بين نوعين من النظر في الظواهر: النوع الأول يقوم على تأليه المادة أما النوع الثاني فهو يرجع كل شيء إلى الله تعالى (31)

3. الإفادة من العلوم الحديثة:

مالك بن نبي يدعو إلى تبني منهجية العلوم الحديثة و الإستفادة منها مع التمييز بين ما يتعارض فيها مع الخصوصية الدينية و العقدية و ما لا يتعارض ؛ هذا في العلوم الإنسانية و الإجتماعية أما في العلوم التطبيقية الدقيقة فلا حرج –عنده – في الأخذ بها كما هي لأن من شأن هذه العلوم الحياد و الموضوعية و لا صلة لها بالخلفيات والأراء الشخصية ...و كتطبيق لهذا المنحى جاءت كتبه و مؤلفاته تباعا تصب في هذا النهج وتدعو إليه ، ومما يدل على ذلك و يؤكده أن مؤلفاته جاءت مخالفة للمعهود و المألوف مما درج زعماء الإصلاح عليه ؛ إذ لن تجد زعيما إصلاحيا ولا مفكرا تجديديا تبنى منهجية علم النفس أو الإجتماع أو التاريخ أو الأنثروبولوجيا فضلا عن الإعتماد على العلوم التجريبية أو التطبيقية كما فعل ذلك ابن نبي.. وقد تبناها باقتدار و كفاءة عالية توحي عن ممارسة عالية لا تقل قيمة و علمية عن إنتاج كبار المتخصصين في تلك الفنون العلمية مما جعل البعض يتساءل و يستشكل : هل ابن نبي مفكر إصلاحي ؟ أم هو مفكر إجتماعي ؟ أم مفكر سياسي ؟ أم هو فيلسوف ؟ [(32)]

و لفهم منهجيته المعرفية أكثر يمكن أن ندلل و نمثل بطريقته في كتابه " الظاهرة القرأنية" الذي عالج فيه أهم قضية في الفكر الإسلامي التي هي قضية الوحي بطريقة علمية فريدة حتى لكأنه يخيل للقارئ أنها ظاهرة عادية من جنس الظواهر الكونية المتكررة ؛ و تمت مقاربته العلمية للوحي اعتمادا على المنهج الفينومينولوجي و على المنهج التاريخي و على التحليل النفسي و على البعد الإجتماعي و المنهج اللساني الفيلولوجي كل هذا بأسلوب تركيبي متوافق قابل للإندماج بعيد عن التلفيق و التكديسو لأجل ذلك و بسبب منهجيتهالمركبة المتكاملة و نظرته الموسعة للدين جاء طرحه للعقيدة شاملا لمناحي كثيرة سكت عنها الفكر الإسلامي دهورا و أسقطها عمدا متشاغلا بدلا عنها بمسائل جزئية فرعية لا تؤدي للإنسانية أي فائدة...تنبه لها ابن نبي بعبقريته الفذة و بين أنها لا تقل فائدة عن المسائل التقليدية التي درج علماء العقيدة في التصنيف فيها ؛ حتى إنه ليمكننا أن نستخلص منها فلسفة حول الإنسان و أخرى في السياسة و في التاريخ و النفس و المجتمع ووو...و باختصار يمكن القول بأن المنهجية التي اعتمدها ابن نبي هي منهجية حضارية تعيد للعقيدة الإسلامية شاهديتها وللمسلم حضوره التاريخي.

خاتمة:يعتبر ابن نبي بحد ذاته ظاهرة تستدعي القراءة و التأمل و البحث في ثنايا افكاره، وما كتب إلى الأن من قبل المفكرين و الباحثين لا زال– في نظري – ضئيلا مقارنة بحجم افكاره و قوة منهجيته و مفاهيمه...ومن خلال هذا المقال استخلصت جملة نتائج أجملها في النقاط التالية:

1. الفكر الإسلامي عامة والعقدي منه خاصة لا بد له من مراجعة ونقد إذهو ليس فوق ذلك ، وما المراجعات و التصحيحات التي قام بها المصلحون الذين سبقوا مالك بن نبي إلا دليل على صحة النقد وضرورته

2. التصحيح و النقد الذي دعا إليه مالك بن نبي لا بد أن يتعقب مكامن الداء الذي لازال ينتج الخيبات و الهزائم التي ترزح فيها الأمة المسلمة ولا بد أن يغوص إلى جذور الأمراض حتى يتمكن من اجتثاثها..أما الإكتفاء بالتصحيح السطحي الظاهري فلا يعدو أن يكون ذلك مجرد عملية تزويقية تلوينية لبناء مهترئ يوشك أن يتداعى من الداخل

3. النقد في نظر مالك بن نبي لا يكون منتجا إلا إذا أعقبناه بالبدائل ولا شك أن هذا المنهج كما أوضح بن نبي هو منهج قرءاني بامتياز؛ إذ القرءان لا يتعقب الظواهر السلبية إلا ليقدم بدلها مسالك نافعة منتجة

4. لابد للفكر الإسلامي بحسب بن نبي من أن يستفيد من التجارب الحضارية المتاحة ولا يكتفي بتجنبها تحت دعوى الخصوصية ؛ إذ هذه الطريقة هي عنوان على النرجسية المرضية الخاطئة

الهوامش:

1 .ابن فارس. معجم مقاييس اللغة. تحقيق و ضبط محمد عبد السلام هارون . ط دار الفكر. (ج 1 .409).
2. ابن منظور.لسانالعرب.دار صادر .بيروت.د-ت.مادة جدد (111/3)
3.القرضاوي يوسف. الصحوة الإسلامية و هموم الوطن العربي.ؤسسةالرسالة.بيروت لبنان.ط3 سنة 2001 ص58
4.ابن نبيمالك.وجهة العالم الإسلامي.ترعبد الصبور شاهين.ط دار الفكر دمشق .ط6 سنة 2006 ص62
5.نفس المصدر ص 49
6. نفسه ص 55
7.نفس المصدر و نفس الصفحة
8.نفس المصدر و نفس الصفحة
9.نفس الصدر ص 54
10.نفس المصدر ص 55
11.نفس المصدر و نفس الصفحة
12.نفس المصدر و نفس الصفحة
13.نفس المصدر ص 57
14.نفس المصدر و نفس الصفحة

15.نفس المصدر و نفس الصفحة

16. نفس المصدر و نفس الصفحة

17. ابن نبي مالك .مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي.تر.بسام بركة و أحمد شعبو.ط.دار الفكر المعاصر بيروت لبنان و دار الفكر دمشق سوريا. ط.7 سنة2006 ص 148

18. نفس المصدر ص 149

19. ابن نبي.وجهة العالم...مصدرسابق.ص 32

20. نفس المصدر.32

21.ابن نبي مالك. شروط النهضة. تر. عبد الصبور شاهي. دار الفكر سوريا.سنة 1979 ص146

22.ابن نبي مالك. مشكلةالثقافة.تر. عبد الصبور شاهين. ط دار الفكر دمشق سوريا سنة 1986 ص 71

23.ابن نبي .و جهة العالم الإسلامي. مصدر سابق ص55

24. نفس المصدر ص 54

25.نفس المصدر و نفس الصفحة

26.ابن نبي مالك. ميلادمجتمع.ترعبد الصبور شاهين.ط دار الفكر دمشق سوريا.ط6 ص 2006 ص 74

27.ابن نبي. وجهة العالم...مصدر سابق.55

28.ابن نبي مشكلة الأفكار..مصدر سابق.146-156 باختصار

29.ابن نبي مالك .الظاهرة القرآنية.ترعبد الصبور شاهين.تقديم عبد الله دراز و محمود محمد شاكر. طدار الفكر دمشق سوريا.ط6 سنة 2006 ص 78

.30. نفس المصدر و نفس الصفحة

31.نفس المصدر ص80

32. بوعرفة عبد القادر . الحضارة و مكرالتاريخ.ط ط. منشورات مخبر الأبعاد القيمية و التحولات الفكرية و السياسية بالجزائر . ط 2006 ص24